معرض بول كلي "بوليفونيس" في مدينة الموسيقى

تأثير الموسيقى في بول كلي

عباس المفرجي

كان بول كلي في العاشرة من العمر، عام ١٨٨٩ ، عندما ذهب أول مرّة إلى الأوبرا. " تروبادور " لفيردي . كانت التجربة حاسمة ، وحتى نهاية حياته ستظل الموسيقى ملازمة له أبداً . والده هانز ، كان أستاذاً للموسيقى ، يعلّم العزف على الكمان ، الأورغ والبيانو في برن . أمه ايدا فريك ، درست الغناء والعزف على البيانو . بول الصغير نفسه ، كان يعزف الكمان ، بشكل جيد يكفي لأن ينضم إلى اوركسترا برن في عام ١٨٩٦ ، وهو في سن السابعة عشرة . كان حينئذ مهووساً ببلخ وموزارت . ثم تعلّم الألتو ◃ الكمان الأوسط ▹ وأسس فرقة رباعية وترية في ١٩٠٣ . قبل ذلك بأربع سنوات ، التقى عازفة البيانو الشابة ليلي ستومبف . قاما معاً بفك رموز مجموعة باخ ، قبل أن يرتبطا بالزواج في عام ١٩٠٦ . تتذكر ليلي ، بعد سنوات : ((احتلت الموسيقى مكاناً حيويا في حياتنا العادية . وعزفنا ، أنا وكلي ، في أماكن خاصة كما أمام الجمهور . كان عازفاً رائعا على الكمان .))

لكن الرسّام الأكثر روعة والفنان ما زالا يحجبان الموسيقى . هذا غير صحيح ، فلكي تفهم الواحد، عليك أن تمر عبْر الآخر ، وهذا ما يذكرنا به المعرض الممتاز الذي يقام في مدينة الموسيقى . ممتاز ، لأنه لا يكتفي بتلخيص التلميحات الموسيقية في أعمال كلي ، بل يحلل كيف حدد التأليف الموسيقي التأليف التشكيلي وكيف تنتقل المفاهيم ــ البناء، والتكرار، والإيقاع من فن إلى آخر . وممتاز أيضا ، لأن كلي هو واحد من المبدعين الرئيسيين في القرن العشرين ، تجسّد إبداعه في أكثر من مئة عمل، لا يمكنها إلا أن تمدّنا بالغبطة.

ثلاثة خيوط تتشابك طوال طريق متسلسل تاريخيا . الأول هو تاريخي وسيَري . أنه يُنشئ مكانا هائلا محتلا بالتعليم والممارسة الموسيقية في حياة وأيام كلي ، سواء في برن أو في فايمار وديساو ، حين يكون كلي واحدا من معلمي الباوهاوس [حركة فنية ومعمارية] . ويروي لقاءاته مع المؤلفين الموسيقيين وفناني الأداء . ويُظهِر ميول كلي القديمة ــ باخ ، موزارت ، بتهوفن ، برامز ـ والمعاصرة ــ شوينبرغ ، بارتوك ، سترافنسكي ، هندميث . في المعرض، رسائل، وصور، وكتب، ومحفوظات، وكان يمكن أن يكون هناك أكثر ، لكن مارسيلا ليستا ، أمينة المعرض ، تجنبت بحكمة تراكمات وافرة من شأنها فقط تأكيد ما هو – على كل حال – شديد الوضوح . وبإدخالها أعمال مارك، وكاندينسكي أو آرب ، فإنها تذكّر بنفس الدقة كم كانت هذه التبادلات مهمة لطليعي النصف الأول من القرن العشرين .

الخيط الثاني ، الأكثر أهمية ، يربط معا الأعمال التي وفقا لطرق متغيرة وتبعا للحظات تنتقل في البصري إلى فكرة أو قاعدة موسيقية . هذا الانتقال يمكن أن يكون بسيطا ، ذهاب على سبيل المثال إلى فكرة الرنين . لوحة " كاريير " [سيرة مهنية] ، في ١٩١٥ ، هي بالألوان المائية ، والعنوان يشير إلى الموضوع . لكن القطع الحجرية هي رباعية الأضلاع مع ألوان تتناوب بين المَغْرة، والوردي، والرمادي والأصفر كي تنشئ أصواتاً وإيقاعا .

العلاقة يمكن أن تكون أكثر تعقيدا .

في بداية الثلاثينات – كان مدرسا في ديسلدورف – انهمك كلي في بحوث حول البوليفوني منها: التشابكات بين الخطوط الموسيقية والغرافيكية، والتناوب المحسوب للنغميات، والفواصل في الزمن أو على سطح الورقة. انه راكم المئات من أنماط وعناصر، غالبا مفسَّرة لنظرية تحليلية للإبداع .

لو أن هذه الكلمات الخطيرة ستتيح الاعتقاد بأن العمل يصبح ممارسة صارمة لنظام مكتمل ، إذن تبقى حرية الارتجال تامة . في التراكيب الأكثر نظامية في المظهر ، لوحة " صليب وأعمدة " (١٩٣٠) ، أو " ضوء وحواف " (١٩٣٥) ، لا تكون التناظرات العمودية والأفقية تامة أبدا ، ولا الألوان تتكرر على نحو مماثل تماما . ثم ما هذه العيوب غير المصوَّبة، وهذه التفاوتات الطفيفة، وهذا الاضطراب الراقص، والتي تجعل كلها من هذه الأعمال بهجات خالصة . يبدو أن كلي يصوغ ، بعذوبة ، قواعد للإحباط، عارفا أن الحياة هناك، في هذه الحرية، التي غالبا ما تنساب نحو السخرية والسخف .

الخيط الثالث هو – والحالة هذه – موضوع اللعب . اللعب مع الأساتذة ، مع موزارت خاصةً، الذي هو نفسه لاعب، والذي أحَّب منه كلي أكثر من أي شيء آخر " كوسي فان توتي " ـ قصة اللعب والمسرّات . اللعب مع الأشكال : من أجل لوحة " حديقة فنية تجريدية "، يحوّل كلي الأنغام إلى أشجار . اللعب مع العناوين : " رعوي ، " لوهنغرين في السينما " . اللعب مع تقاليد المسرح : في الباوهاوس ، ابتدع كلي بعض دمى الماريونيت الهزلية . في عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ، حين حرمه المرض ، الذي توفي بسببه ، من كل شيء سوى الإمساك بقلم رصاص ، كانت تخطيطاته الأخيرة مكرّسة للطبول ، البيانو ، الهارب والكمان .

عن صحيفة " لو موند "

نافذة ضوء

الروائي أحمد خلف: روايتي الجديدة تزاوج في اشتغالها بين العام والخاص

المدى الثقافي

أحمد خلف روائي وقاص صدرت له الكثير من الأعمال الأدبية، وكان أكثرها جرأة (موت الأب) الذي تنبأ فيها بسقوط الطاغية، وبعد عام ٢٠٠٣ صدرت له أعمال روائية، كان من ضمنها رواية (الحلم العظيم) التي طبعتها" مؤسسة المدى " للإعلام والثقافة والفنون، من خلال "نافذة ضوء" سألناه عن مشغله الروائي:

× ما الذي يشغلك الآن؟

– هذه الأيام أنا منشغل بروايتي التي سبق وان أعلنت عنها لجريدة المدى وهي بعنوان (عن الأولين والآخرين)، والرواية تحاول أن تمزج وتزاوج بين ما هو واقعي وما هو تاريخي،وما هو خيالي،وما هو حياتي يومي مباشر،الرواية تمتد على مساحة زمنية طويلة لذلك لجأت إلى تقطيعها إلى عدد من الفصول، والرواية عموما شأنها شأن الروايات السابقة تدين الظلم والطغيان والجور وإيذاء الإنسان وتعذيبه ووضعه في دائرة الفقر، لكي تمتلئ بطون السلاطين والحكام الذين لا يملكون مؤهلات الكاتب أو الأديب او الفنان الذي نبع من بؤرة الشغيلة وبؤرة الناس الفقراء. هذه الرواية تتصدى لكل من حاول أن يأخذ او يستلب الفرصة من المثقفين ومن الفنانين ومن الشعراء والقصاصين وهي لا تتحدث عن الآني اليومي، بقدر ما تتحدث عن المطلق وعن النسبي أيضا، أي أنها تزاوج في اشتغالها بين العام والخاص وبين ما هو مرئي تحت النظر، وبين هو ما غائب وغامض ومستور ويجب أن يكشف هذا المستور بطرق فنية خاصة جدا، إنني منشغل جدا بفصول الرواية .

× هل أنت متفرغ لتدوين عالم الرواية فقط؟

– أنا متفرغ للكتابة منذ عام ٢٠٠٦ ويلاحظ العديد من أصدقائي أنني لا اكتب هنا ولا هناك، وقد اكتشفت منذ عام ١٩٨٥ أنه لا حل أمامي ولا مجال للتراجع، فالقراءة هي متعة نادرة بالنسبة لي وخصوصا في عمري هذا، حيث أنني اجمع كميات

معينة من الكتب والمؤلفات الغربية والعربية والعراقية الجيدة واقرأ يوميا وباستمرار، ألغيت الفاصلة الزمنية منذ عام ١٩٨٥ ما بين الليل والنهار، ستسألني لماذا ١٩٨٥ ؟ لأنه هو بدء اشتغالي في مجلة الأقلام والعمل فيها حتى ٢٠٠٦ وهذه السنوات الجميلة في مجلة الأقلام قدمت لي خدمات كبيرة وجعلتني قريبا جدا من أصدقائي الذين اعرفهم والذين لا اعرفهم من الأدباء والشعراء والقصاصين والفنانين، إن هذه التجربة الطويلة والعميقة والعريضة تدفع بي نحو شواطئ الأمان، رغم ما يسود من فوضى وما يسود من إجحاف للناس والفقراء والأدباء والفنانين والمثقفين، إلا أنني احصر مكانا خاصا لي ألجأ إليه كما يلجأ الشاعر والعاشق وكما يلجأ الفلاح وكما يلجأ العامل وكما تلجأ كل أصناف الطبقات المسحوقة والشغيلة الذين يحاولون أن يوفروا لقمة العيش بشرف وأناءة وكرامة.

× الرواية بعد عام التغيير هل جسدت إرهاصات الواقع العراقي ؟

– الرواية بعد عام التغيير لا يمكن إطلاق أحكام قسرية على النتاج الروائي، لكنني احمل صراحة فكرة متفائلة في ما يخص الرواية العراقية بالذات تحديدا، فهناك أجيال جديدة بدأت تظهر وهذه الأجيال صراحة بدأت تقتحم مناطق ما كانت الأجيال السابقة التي عاشت في الظروف العسيرة القاتلة والقاهرة آنذاك تريد أن تدخل إليها للاشتغال فيها، وكان يطلق عليها بلغة النقد الأدبي – التابوات الثلاثة هي: الجنس – الدين – السياسة – صحيح الآن معظم الروائيين العراقيين والعرب، يفصلون عن هذه التابوات ولكنها ظلت تابوات تمتلك طاقة أو قدرة أو قابلية على المحاكمة مع الفنان والكاتب، اعتقد أن الرواية العراقية لها مستقبل قريب جدا في أن تدخل في المنافسة الحقيقية مع الرواية العربية الجديدة.

الفنان فيصل الياسري في الخميس الإبداعي.. مسيرة إبداعيّة حافلة

محمود النمر

ضمن نشاطاته الأسبوعية ضيّف ملتقى الخميس الإبداعي المخرج فيصل الياسري الذي تحدث عن مسيرته في الفن والإعلام.. من بداياته في ناحية المشخاب حتى إطلاقه فضائية (الديار) مقرونة بالتفاصيل المهمة التي تعتبر وثائق وتواريخ مدن وشخوص وفنون، شعرية، وسردية، وصورية، وسينمائية، ومسلسلات لها في الذاكرة الجمعية العراقية والعربية بصمات واضحة وجليّة، تستذكر حياة أمّة ما زالت واقفة تنظر بشعف أم حنون إلى أولادها المبدعين، ومنهم فيصل الياسري.

قدم الجلسة الناقد السينمائي كاظم مرشد السلوم الذي قال إن ضيف هذا الخميس يحمل كل صفات الإبداع، فهو شاعر وقاص ومخرج له العديد من المسلسلات والأفلام، وتربى جيل كامل في خلال برنامجه الذي علمنا ونحن صغار، وفتح لنا أبواباً مغلقة في الوعي وهو برنامج (افتح يا سمسم) ثم تحدّث الياسري عن أهم محطات حياته بدءاً من مدينة (المشخاب) إلى كل قناطر وجسور المعرفة التي تتصل بالوعي والذاكرة الجمعية العراقية، وكيف كان مهوساً بالقراءة، وحمل راية الثقافة بعد أن نشر أول قصصه بعنوان(مذكرات شجرة)، في مجلة لبنانية اسمها (العرفان) ثم تابع النشر وصدرت له مجموعة بعد أن زار اتحاد الأدباء ومقهى حسن عجمي، وتعرف من خلال ذلك على الكثير من الأدباء قائلا: تعرفت في مقهى حسن عجمي على شلتين، شلة عبد الوهاب البياتي وشلة رشيد ياسين الذي كان خصما لدودا للبياتي، وهو الان في استراليا، وأصدرت كتابي الأول وأنا في الثاني المتوسط بعنوان (في الطريق) ورواية ثانية بعنوان (كانت عذراء) وأنا طالب في المتوسطة، وأتذكر كنت اكتب الشعر بمزاج معين، وأتذكر في باب المعظم عندما كانت فيه أربع زوايا، في كل زاوية مكتبة لبيع الكتب والمجلات وفي كل زاوية مقهى وكانت هذه المقاهي ملتقى للأدباء، وكنت اسكن في الأعظمية وكانت هناك مكتبة لشاب يهودي مهذب جدا اسمه (سميع) وهو يهودي وهذا في عام ١٩٥١، وكنا نقف هناك أنا وبدر شاكر السياب وعلي الشوك وحسين مردان وكانوا كلهم اكبر مني سنّاً، وفي ذلك الوقت نشرت قصيدة بعنوان (من أنا) في جريدة اسمها الراية تصدر في الموصل صاحبها عبد الباسط يونس توفي قبل سنتين، والقصيدة كانت مجموعة من أسئلة، وبدأ النقاد يكتبون عني ولم يعرفوا عمري أو من أكون، وقلت للسياب يجب أن أذكر لهؤلاء الكتاب عمري،لكنه نصحني ألا اذكر ذلك، وقال: دعهم يعتقدون أن عمرك اكبر من هذا. وحتى الآن أنا اكتب الشعر في لحظات وجدانية.

وأضاف الياسري عن محطاته الإخراجية، والتلفزيونية قائلا: أنا بالأساس مخرج أفلام روائية، ومسلسلات تلفزيونية، الفيلم التسجيلي كان عندي حالة وجدانية وهو يشكل عندي قصيدة مرئية، وكل الأفلام التسجيلية حصلت على جوائز عالمية، وأتذكر أول فيلم بعنوان (نحن بخير) أنتجته بعد هزيمة عام ١٩٦٧.

ويذهب الياسري بحديثه العذب المتشعب قائلا: أنا ما زلت اكتب وفي السنة الماضية كتبت ستة كتب في المسرح والشعر والترجمة، والآن عندي أربعة كتب، ستصدر خلال الأشهر المقبلة في القاهرة،وتساءل متى اكتب؟ لا ادري!، فأنا لا أضيع وقتي، وانا افرح حين اكتب.

وفي مجال آخر من ذكرياته العديدة قال الياسري: سافرت إلى (فيينا) عام ١٩٥٣ لدراسية علم النفس، وكنت مشحونا بالأدب والفن والثقافة وعندما حضرت أول درس في كلية الطب وشاهدت الجثة أمامي أغمي عليّ ومرضت لمدة أسبوع ولم اعد بعدها ثانية إلى كلية الطب. وبعد ذلك درست تقنيات السينما والتلفزيون. وفي عام ١٩٥٨ في شهر تموز عدت إلى العراق وكان بيتنا مقابل قصر الرحاب في المنصور وكان بين بيتنا والقصر نهر الخر، وشاهدت من سطح بيتنا كيف تم الهجوم على قصر الرحاب عندما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وشاهدت بأم عيني أشياء لا يمكن أن أنساها.

وفي باب المداخلات تحدث السيناريست حامد المالكي والمخرج عدي رشيد والمخرج عبد الوهاب الدايني والكاتب خضير فليح الزيدي، الذين أشاروا إلى أهمية الياسري كمخرج وفنان وأديب ومترجم واعتباره من الذين واكبوا جميع المراحل واخرج الكثير من الأفلام والمسلسلات التي بقيت في الذاكرة.

تلويحة المدى

▪ شاكر لعيبي

تونس بصفتها بطاقة بريديّة زاهية وفرانكفونيّة

منذ ثماني سنوات وأنا أقيم في جنوب تونس، وأتردد على العاصمة بشكل متواتر، واعتبرها بلداً حميماً ثانياً له مكانة عظيمة في قلبي. وقد وجدتُ فيها ما يُفرح وما يُكدّر مثل جميع بلداننا العربية. شهدتُ بعضا من سنوات قمع ابن علي فيها وحضرتُ أيام "ثورتها". كان انطباعي قبل الإقامة الدائمة فيها أنها بلد سياحي عن جدارة، يمتلك غالبية سكانه ثقافة رفيعة، مغموسة بالفرانكفونية، وأن مشكلاتها تختلف عن مشاكل الأقطار العربية الأخرى. هذه الصورة الزاهية، هذه البطاقة البريدية الملونة هي التي تقدَّم عادة للجمهور العريض خارج البلاد، من طرف الدولة كما من قبل جُلّ التونسيين على مختلف مشاربهم، ولأسباب مختلفة، ففي حالة الدولة توفّر هذه البطاقة البريدية ما يقارب الـ ١,٣٩ مليار دينار تونسي سنويا من إيرادات السياحة، وما يعدل ثلاثة بالمئة من الدخل القومي من مبيعات الصناعات الشعبية التونسية المرتبطة عضوياً بالسياحة، أما من طرف الجمهور فأنها تقدمهم جميعا تقريباً، مدنييهم وفلاحيهم، بهيئة مزدهرة مدعاة للاحترام. لا أحد سيمتلك المصلحة بأن يخدش هذه الصورة طالما أنها تقدّم فائدة كبيرة واضحة للجميع. لكن تونس ليست بطاقة بريدية كما يريد المسوِّقون الرسميون والشعبيون، ولا تنطق كلها باللغة الفرنسية اليوم. إنها من لحم ودم وذات ثقافة مقيمة كذلك في العلاقات الفلاحيّة، وأقل منها القبلية والجهوية (المناطقية). وإن تناقضاتها بين مجتمع علماني سعت البورقيبية وما تبقى منها إلى ترسيخه، ومجتمع متشبع بقيم العائلة والميتافيزيقيا والعروش. القبائل ظلت حتى يوم سقوط نظام ابن علي مطمورة ومتجاورة بالقوة، أو بالتراضي والتسامح اللذين يَسِمَان بالمجتمع التونسي. الرجل المقيم الذي عاش في الجنوب التونسي، مثلي هجس وعرف منذ وقت مبكر مفارَقة كبيرة بين الواقع الفعلي وخطاب الصورة السياحية الزائف، ثم خطاب نخب العاصمة التي يجهل بعضها "جغرافيا البلاد الحقيقية". وقد كنت أود صياغة العبارة على شاكلة: "الجغرافيا الحقيقية للبلاد" لأنها تثير لبساً اقل، لكنها، بالمناسبة، لن ترضي المنصف الوهايبي حسب مقالة كتبها عن تلك الصياغة اللغوية، وأجدها سويّة ودقيقة.

فجَّر انتخاب حركة النهضة قسماً من تلك التناقضات العويصة. فمن مديح عالي الصوت من طرف الجميع لعظمة الشعب التونسي الذي قدّم بالفعل مثالا باهراً للعالم، إلى تلميحات وتصريحات من بعض نخب العاصمة لـ "تخلّفه" عندما انتخب خاصةً حركة النهضة. في حوار لي مع صديق تونسي قال لي إن: "(الشّعب) تعبير مجازي و تضليلي كلّ منا يستعمله لأغراضه، لأن "الهبّة الثّوريّة" التونسية هي عبارة عن تساو في درجة الاحتقان بين النّاس على اختلافهم". وهو ما يستوجب، حسب رأيه، "أنّ ينزل الخطاب الحداثي بقوّة الآن إلى سجال الشارع." وقد تناسى أن حداثة بعض النخب ليست سوى حداثة تلفيقية. تلفيقية مُحْكَمَة دامت زمنا طويلاً باسم منجزات مدنية جوهرية لا شك في ذلك، لكنها كانت سبباً من أسباب فوز حركة النهضة. مثلها مثل وَهْم اختصار البلاد التونسية كلها بالعاصمة تونس لا غير (كما اعتقد كثيرون أن مصر هي القاهرة وان العراق هو بغداد) من طرف نخب العواصم المعنية، وهم يطلقون المناظرات الساخنة في مقاهي شارع الحبيب بورقيبة السياحي وأحياء العاصمة الراقية والمتوسطة. هناك أمثلة صارخة على الوهم الجارف، منها أن بعض مُنظّري وقادة الأحزاب المعنية بالبيئة لا يعرف الكثير من معطيات الواقع الموضوعي على الأرض، كالكارثة الإنسانية المطبقة التي يسببها مصنع الفوسفات في ولاية قابس، حتى أن المرء يستطيع ببعض المجازفة والطرفة أن يعتقد أن الخطاب البيئي ليس سوى نمط من أنماط الترف الثقافوي لدى البعض، وليس سوى خطاب متعالٍ مستعار من منظّري العناية بالبيئة الأوروبيين.

عندما تكون أحزاب البيئة نسخاً باردا لأحزاب عالمية عريقة، فمن المتوقع أن تفوز الأحزاب السلفية، وعندما تتصرّف بعض أحزاب اليسار بنوع من الترف الفكري مسبق الصنع فمن الأكيد أن يحدث الفوز. وعندما تكون الأحزاب البعثية التونسية متعصّبة إلى درجة لا تُطاق، ولا ترى ما يحدث في سوريا وما حدث في العراق، فمن الأكيد أن تفوز حركة النهضة عينها. وعندما تتحدث النهضة عن تكييف "الحداثة" لصالحها فأن في ذلك إشارة إلى عدم توطّن "الحداثة" لدى النخب الحديثة، أو تشبثها بمفهوم شكلاني للحداثة: أي ارتباطها بالتحديث التقني فحسب، كما تريد النهضة بالضبط.

لن ننسى بعد ذلك كله، كما نسيت بعض نخب العاصمة تونس، أن "النهضويين" هم تونسيون أصليون، وإذا ما قمعهم أحد اليوم بذريعة ما، فعلينا أن نتوقع أن يُقمع أي حزب آخر بذريعة أخرى في المستقبل. لا ندافع هنا عن "حداثة" حركة النهضة بل نشير إلى "سرقة مفهوم الحداثة".